D'IO

بعدما فرغ الطفل من استكشاف العالم القريب من حوله، أدار نظره لأوّل مرّة نحو نفسه.
في البركة العميقة التي صنعتها نيميسيس، أو في مرآة الحمّام في البيت،
وضع عينيه داخل عينيه ليكتشف أنّه ينظر إلى شخصٍ آخر: الله.
بقي لحظةً مبهوتًا يتأمّل نفسه مقلوبًا في لون قزحيّته.
والمشهد الدائم التبدّل حول بؤبؤه يحدّثه عن مشاهد من خارج الأرض.
ثمّ يشغله حيوانٌ خلف الشجيرات، أو هاتفٌ يرنّ في الممرّ،
فيعود الطفل إلى العالم ناسيًا ما رآه للتوّ.
إلهٌ صديق بهذا القرب يبدو أسهل من أن يُعثر عليه، ولا يمكن أن يكون حقيقيًّا.
يهدم الطفل ويبني، باحثًا عن الله في عيون الآخرين، وحين يصير رجلًا يجد نفسه ينظر في عينيه، فيكتشف في قزحيّته مشهدًا غيّرته الفوّهات، وجرحته اصطدامات بأجرامٍ أخرى، ودفّأته شموسٌ أو جمّدَه موتُ نجومٍ انهارت على نفسها.
ومن جديد يرى الطفلُ الذي صار رجلًا اللّهَ، وتقشعرّ جلدته فيبدأ بمخاطبته: يريد أن يعرف من هو، وإلى أين عليه أن يذهب.
يحدّق فيه اللّهُ من المرآة بلاهةً دون أن يجيب بشيء، فيشعر الرجل أنّه يكلّم نفسه.
طفلٌ يبكي أو منبّهٌ يرنّ يعيدان الرجل إلى العالم.
إلهٌ لا يجيب هو إلهٌ أصمّ، إلهٌ شرّير، وإلهٌ غير موجود.
إلى أن يجد الرجل، وقد شاخ، نفسه صباحًا أمام نفسه وهو يغسل وجهه:
فإذا بالمشهد غير الأرضيّ في عينيه، الذي جاء منه والذي يوشك أن يعود إليه، قد تبدّل مرّةً أخرى؛
والإله الساكن فيه ينتظره غير مكترثٍ بين تشابك الأزهار، وظلال حيواناتٍ أسطوريّة، وأقواس قزحٍ من كُتَبِ صوفٍ ملوّنة.
الطفل الذي صار رجلًا ثمّ شيخًا سيمضي ليلقى في عينيه D'Io: الله والأنا معًا.

Luca Motolese · Alassio 2008

motolese.com — النصّ الأصليّ بالإيطاليّة